الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN

كلية الآداب و الفنون
قسم اللغة والأدب العربي

مقياس : نظرية الرواية
ليسانس السداسي السادس
تخصص: دراسات نقدية
إعداد : أ.د محمد ملياني
العام الجامعي 2026/2025

محاضرات في نظرية الرواية

المحاضرة02: الأشكال السردية السابقة للرواية

تعد الأشكال السردية القديمة التربة الخصبة التي نبتت فيها الرواية الحديثة؛ فهي لم تولد من فراغ، بل كانت تتويجاً لقرون من التراكم السردي. ويكمن ذكاء تحليلك في التمييز بين الوظيفة، كأدوات للوعظ والتخييل، والمنهج القائم على الواقعية وبناء الشخصية.

الأشكال وعلاقتها بالرواية:

1. الحكايات الشعبية (ألف ليلة وليلة):

بنية السرد: قدمت تقنية "الحكاية الإطارية" (قصة داخل قصة)، وهو أسلوب معقد لا يزال يُستخدم في الرواية المعاصرة. الخيال الجامح: اعتمدت على "العجائبي" لكسر رتابة الواقع، لكنها افتقرت إلى العمق النفسي للشخصيات، حيث جاء الأبطال غالباً في صورة "نماذج جاهزة" (الملك الظالم، الزوجة الوفية، الصعلوك الذكي).

2. السير الشعبية (سيرة عنترة، سيف بن ذي يزن):

البعد الملحمي: تمثل السيرة الجسر الواصل بين التاريخ والأسطورة، وركزت على "البطل الخارق" الذي يجسد قيم الجماعة كالشجاعة والكرم. التسلسل الزمني: تميزت بطول النَفَس السردي، مما مهد لظهور "رواية الأجيال" لاحقاً، رغم بقائها أسيرة الأحداث المتكررة والمبالغات.

3. المقامات (بديع الزمان الهمذاني، الحريري):

الوعاء اللغوي: تعد المقامات أقرب الأشكال للرواية من حيث قدرتها على النقد الاجتماعي وتصوير حياة المهمشين والمحتالين. المأزق: غرقت المقامات في بحر من السجع والزخرفة اللغوية، مما جعل الأولوية للبلاغة على حساب تطور الشخصيات أو ترابط الحبكة.

4. القصص الديني والأسطوري:

الرمزية والوعظ: هدفت هذه القصص إلى ترسيخ القيم الأخلاقية أو تفسير الظواهر الكونية. الأثر: أمدت هذه النصوص الرواية لاحقاً بـ "البعد الرمزي" والقدرة على طرح الأسئلة الوجودية الكبرى.

الشخصية الحديثة ثابتة (بطل مطلق أو شرير مطلق). نامية، معقدة، ومتناقضة (إنسان واقعي)

الزمن زمن مطلق أو أسطوري "كان يا ماكان". زمن خطي أو متداخل مرتبط بظروف اجتماعية وتاريخية.

المكان أماكن متخيلة أو هلامية. مكان واقعي بتفاصيل دقيقة تؤثر في وعي الشخصية.

الهدف الإمتاع، الوعظ، أو الحفاظ على الذاكرة الجماعية. تشريح المجتمع، البحث عن الهوية، وتصوير الصراع النفسي.

بينما ركّزت الأشكال الروائية القديمة على عنصر التشويق الخارجي (ماذا سيحدث؟)، انتقلت الرواية الحديثة إلى التركيز على التحليل الداخلي (لماذا وكيف يشعر البطل؟). ولم تلغِ الرواية الحديثة تلك الأنماط السابقة، بل استوعبتها وأعادت صياغتها في قالبٍ يُتيح محاكاة الواقع وتحليل النفس البشرية بعمقٍ أكبر.

للعبور من مرحلة "الحكي الفطري" إلى "الرواية الفنية"، ينبغي لنا تحليل هذه الاستمرارية التاريخية والقطيعة الجمالية في آنٍ معاً. إذ لا تُعد الرواية نتاجاً للعدم، بل هي "وريث شرعي" استوعب موروث السرد القديم وأعاد صياغته وفقاً لمنطق العصر الحديث. أولاً، الحكاية الشعبية: من سحر "الخرافة" إلى واقعية "النمط"؛ فقد كانت الحكاية الشعبية -كألف ليلة وليلة- المخزن الأول للمخيلة السردية، معتمدةً على ما يُصطلح عليه نقدياً بـ "عجائبية السرد". وتحليلياً، يتسم السرد الشعبي بتقدم الحدث على الشخصية، حيث تظل الشخصية "مسطحة (Flat Character) "لا تتطور بتطور الأحداث، بل تعمل كأداةٍ لتسيير الحبكة.

وفي هذا السياق، يشير الناقد الروسي فلاديمير بروب في كتابه "مورفولوجيا الحكاية" إلى أن "وظائف الشخصيات هي العناصر الثابتة والمستقرة في الحكاية، بغض النظر عن هويتها أو كيفية تنفيذها"؛ وهو ما يفسر تشابه الأبطال في السرد القديم من حيث صفاتهم المطلقة.

المقامات: الصراع بين "اللفظ" و"الحدث". تُعد المقامة الشكل السردي الأكثر "أدبية" في التراث العربي، حيث تجلت فيها ملامح البطل "الإشكالي" (المحتال) و "وحدة المكان" و"وحدة البطل" (مثل أبي الفتح الإسكندري)، لكنها ظلت حبيسة "الاستعراض اللغوي". فاستلهمت الرواية الحديثة من المقامة روح النقد الاجتماعي وسخرية الهامش، لكنها تحررت من قيود السجع التي كانت تعيق تدفق الزمن. يرى الدكتور عبد الفتاح كيليطو أن المقامة كانت نوعاً من "الحكي الذي يلتف حول نفسه"، حيث كانت اللغة هي البطل الحقيقي لا الحدث، مما جعلها "رواية جنينية" لم تكتمل بسبب قيود البلاغة التقليدية.

السيرة الشعبية: الملحمة التي مهدت للزمن الروائي الطويل. تُعد السيرة (مثل سيرة بني هلال) أضخم بناء سردي عرفه العرب قبل الرواية، وتمثل محاولة لتدوين "التاريخ الشعبي".

وسعت السيرة أفق المكان (الترحال من نجد إلى تونس) وأفق الزمن (أجيال متعاقبة)؛ وهذا النفس الطويل هو ما أتاح لاحقاً ظهور "الرواية الملحمية".

يشير الناقد ميخائيل باختين إلى أن الملحمة -والسيرة نوع منها- تختلف عن الرواية في أن الملحمة تتحدث عن "ماضٍ مغلق ومكتمل"، بينما تعنى الرواية بـ "حاضر قيد التشكل".

الفوارق البنيوية (لماذا حدث الانفصال؟). لتحليل الفرق الجوهري، يمكننا رصد التحول عبر ثلاثة محاور رئيسية:

أ. من "البطل الخارق" إلى "الإنسان المهزوم": في السرد القديم، كان البطل (مثل عنترة أو سيف بن ذي يزن) يتمتع بالقوة المطلقة وينتصر دائماً بدعم من قيم الجماعة، أما في الرواية الحديثة، فالبطل إنسان عادي يعاني من القلق والفشل والتصادم مع المجتمع

ب. من "الوعظ" إلى "التساؤل"

كان السرد القديم يهدف لتقديم "درس أخلاقي" (الخير ينتصر، والشر يُهزم). الرواية الحديثة -كما يقول ميلان كونديرا- هي "فن الشك". هي لا تعطيك أجوبة بل تطرح أسئلة حول تعقيد الوجود الإنساني.

ج. بناء الشخصية (العمق السيكولوجي)

في القصص الديني والأسطوري، الشخصية هي "رمز" لفكرة (أيوب رمز الصبر، يوسف رمز الجمال). في الرواية، الشخصية هي "لحم ودم"، تتغير ملامحها النفسية وتنمو مع توالي الصفحات.

الرواية الحديثة لم تنفصل عن هذه الأشكال بقدر ما "امتصتها". الرواية العربية المعاصرة (عند نجيب محفوظ أو جمال الغيطاني مثلاً) عادت واستلهمت "المقامة" و"السيرة" لتعيد صياغتها برؤية فلسفية حديثة.

يقول الناقد جورج لوكاش في كتابه (نظرية الرواية): "الرواية هي ملحمة العالم الذي هجره الله". ويقصد بذلك أن الرواية جاءت لتعبر عن ضياع الإنسان الحديث وبحثه عن المعنى في عالم لم تعد تحكمه الأساطير أو المعجزات الواضحة.